

النحو التعليمي بين النظرية والتطبيق

غانم كامل الحسناوي

معهد إعداد المعلمين الصباحي / كربلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد الصادق الأمين ، وعلى اله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين ... وبعد فالتأمل في تعليم اللغة العربية يجد إن المتعلم والمعلم يبذلان جهدا ليس ببسيط من أجل إنجاح مهمة التعليم . يتركز جهد المتعلم في محاولة فهم القواعد والحقائق التي يحاول المعلم جاهدا في إيصالها له ، والمعلم بدوره يجد صعوبة كبيرة في إيصال تلك القواعد والحقائق والأصول الى المتعلم لما يكتنفها من غموض ويعوزها من ترابط في بعض الأحيان .

لذا وقف الباحث في بحثه هذا متأملا في تلك القواعد النحوية التي نعلمها لطلاب اللغة العربية محاولا إيجاد مواطن الصعوبة ، راصدا خلافا بينا في عرض بعض المواضيع ، بدءا من الخلل في النظرة الى تعليم اللغة العربية عموما مروراً بأهداف تدريس النحو العربي داعيا الى النحو الوظيفي ، ثم عرض الباحث نماذج لتلك المواضيع التي تحتاج منا الى إعادة نظر اما في ترتيبها ، او في أسلوب عرضها على الطالب . ومن هذه المواضيع : (إن) النافية العاملة عمل (ليس) ، و (لا) النافية للجنس ، والعطف . على ان يكون هذا البحث حلقة في سلسلة يهدف من ورائها الباحث تيسير تعليم النحو العربي من خلال إحياء آراء النحاة الأوائل ، تلك الآراء التي غفل عنها الباحثون وهم يتابعون مذهب الجمهور ، او ما يسمى بـ (النحو الرسمي) . وغايتنا من هذا البحث خدمة لغة القرآن الكريم ، وتيسير تعليم قواعدها لهذا الجيل والأجيال القادمة ، ونحن نعيش ثورة معلوماتية عارمة قد تصرف ذهن الطالب عن لغة آبائه وأجداده ، وبعد عملنا هذا من باب رد ما استؤمنا عليه من علم الى أهله .

والحمد لله في الأولى والآخرة .

الدعوة الى إصلاح تعليم اللغة العربية دعوة طارفة تليدة ، دعا إليها من المتقدمين و المتأخرين رجال اشربوا في قلوبهم حب اللغة فلم تلههم تجارة ولا مال عن التفكير في سبل تيسير تعليمها . والمتتبع للمراحل التي مرت بها هذه الدعوة يجد بذورها في كتب أوائل النحاة أمثال الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) و ألكسائي (١٨٩ هـ) ، واليزيدي (٢٠٢ هـ) ، والجرمي (٢٢٥ هـ) ، وأبي موسى الحامض (٣٠٠ هـ) ، والزجاج (٣١١ هـ) وابن الخياط (٣٢٠ هـ) والزجاجي (٣٣٧ هـ) ، وأبي جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) وكلهم وضعوا مختصرات في النحو لم يصلنا منها إلا (الجمال) للزجاجي ، و (التفاحة) لأبي جعفر النحاس (١) .

اما ما يخص الأسلوب فقد حاول طائفة من القدماء تقديم النحو بأسلوب سهل واضح ، ومن عرف عنهم وضوح الأسلوب وسهولة العرض الفراء (٢٠٧ هـ) ، الذي غضب عليه النحاة فقالوا متذمرين : " ان دام هذا على هذا علم النحو الصبيان " (٢) وقد التفت الى النحو التعليمي طائفة من النحاة ، فوضعوا كتباً نحوية تعليمية ، منها (الواضح) و (الموضح) لابن الانباري (٣٢٧ هـ) ، و (الإيضاح) لأبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ، و (الواضح) لأبي بكر الزبيدي (١٧٩ هـ) وغيرهم ، ناهيك عن بعض النحاة الذين عكفوا على كتابة التمهيدات لكتاب سيبويه من اجل إعانة الدارسين على فهمه .

غير ان الثورة الحقيقية على تفكير النحاة ، ومحاولة إصلاح منهجهم كانت في المغرب العربي ، وهي ثورة ابن مضاء القرطبي (٥٩٢ هـ) الفقيه الظاهري الذي تتسبب إليه اخطر محاولة إصلاحية في تاريخ النحو العربي وقد ضمن كتابه (الرد على النحاة) أفكاره النحوية المتجددة ، ورفض فيه نظريات النحاة التقليديين التي منها : (نظرية العامل) وفكرة (الحذف) و (التنازع في العمل) و (التعليل) و (القياس) .

اما إصلاح تعليم اللغة على وجه العموم فقد التفت إليه نخبة من مفكري العربية منهم الجاحظ (٢٥٥ هـ) ، ولكن أهم من وقف عند إصلاح تعليم اللغة وحدد أسس هذا الإصلاح هو المفكر الإسلامي الكبير ابن خلدون (٨٠٨ هـ) ، الذي أتحفنا بأفكار جديدة تتسم بالمنهجية الواضحة ، وإمكانية التطبيق .

والملاحظ من خلال استقراء النظرة الى تعليم اللغة عند اللغويين العرب القدامى ، نجد أنهم لم يكونوا يفصلون بين الوراثة واللغة ، فقد وقر في عقولهم ان اللغة شيء يورث ، وان غير العربي لايمكن ان يتقن اللغة إتقان أهلها لها ، وقصة مهاجمة الفرزدق عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (١١٧ هـ) ، ورفضه التسليم بأحكامه النقدية ؛ لان الأخير أعجمي لم يرث اللغة عن أباء عرب

اقحاح ، هي قصة مشهورة . وهذا الأصمعي (٢١٣ هـ) لا يثق بالكميت ؛ لأنه : " تعلم النحو وليس بحجة " (٣) ، وروى ابن قتيبة : " قال عيسى بن عمر : قال لي ذو الرمة : ارفع هذا الحرف ، فقلت له : أكتب؟ فقال بيده على فيه ، أي اكتب علي ؛ فانه عندنا عيب " (٤) ، إذ لم يرتب اللغويون القدامى بلغة الأعاجم فحسب ، وإنما ارتابوا بلغة العرب الذين ثبتت صلتهم بأهل العلم ، غير ان هذه النظرة الساذجة لمسألة اكتساب اللغة لم تستمر طويلا ، فقد خرج عنها علماء رجحوا اكتساب اللغة بالسماع و الرواية والحفظ ، منهم القاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) ، الذي قال : " إنني أرى حاجة المحدث الى الرواية أمس ، واجده الى كثرة الحفظ أفقر " (٥) ، ونحن نتفق مع من ذهب من المحدثين الى ان انضج ما وعاه الفكر العربي في هذا الشأن ، هو ما ذكره المفكر العربي ابن خلدون ، الذي رد دعوة من ظن ان العرب نطقوا لغتهم بالطبع بقوله : " ٠٠٠ وليس كذلك ، وإنما هي ملكة لسانية تمكنت ورسخت ، فظهر في بادئ الرأي كأنها جبلة وطبع " (٦)

وقد حدد ابن خلدون ثلاث مراحل يحصل خلالها اكتساب اللغة على حسب انعكاس فعل التعلم على المتعلم ، وهي على ما يبدو تتدرج من (الصفة) ثم (الحال) ثم (الملكة) ؛ " لان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة وصفة راسخة " (٧) .

وقد وصف لنا ابن خلدون المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل اكتساب اللغة بقوله : " ٠٠٠ ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ، ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر الى ان يصير ملكة وصفه راسخة ويكون - يعني السامع - كأحدهم " (٨) .

اقترح ابن خلدون حلا ينأى بجانبه عن التطبيق يوما بعد اخر ، ألا وهو اصطناع المناخ اللغوي اصطناعا ، وفيه يقول : " ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ، وبروم تحصيلها ، ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين ايضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم المنظوم والمثثور منزلة من نشأ بينهم ، ولقى العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظه ، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ، وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظما ونثرا " (٩) .

ووجه الصعوبة في تطبيق ما اقترحه ابن خلدون لا يكمن في حفظ كلام العرب فقد نتج من إقبال المسلمين على دينهم ان حفظ كثير منهم كتاب الله وشطرا من أحاديث الرسول الأكرم (ص) ،

وكثير منهم كلام السلف ، وخطبهم ، وأشعار العرب الأوائل والمجيديين من شعرائهم المولدين ، بل ان المشكلة تبقى قائمة في هجر الاستعمال ، وعدم التزام مدرسي اللغة العربية ، بله مدرسي المواد الأخرى باستخدام العربية الفصحى في التدريس ، وهو ما ينذر بتدني مستوى الأداء اللغوي الى الحد الذي تصبح فيه لغة القرآن الكريم ، ولغة الأجداد لغة غريبة تتحاشاها الألسن لتحل محلها اللهجات العامية المتدنية فتصبح الأخيرة لغة مألوفة يستحسنها الناس ، إذ ان ما يجري الان في التدريس في عموم مدارسنا بدءا من المراحل الأولى وانتهاءا بالمراحل الجامعية ، هو تجاهل مقصود او غير مقصود لأصل من أصول التدريس ، وهو التدريس باللغة الرسمية التي الفت بها الكتب المنهجية ، والحصيلة ان الهدف العام الذي وضع لتدريس مادتي اللغة العربية و اللغة الانجليزية هي ان يتقن الطالب أصول اللغتين حتى يتمكن من كتابة موضوع في أي منهما يستوفي فيه شروط التعبير السليم ، وان يكون قادرا على ان يستخدم اللغتين بطلاقه ، وان يفهم ما يقال بهما ، أي انه يصبح متقنا للغة قومه وملما بلغة حية أخرى من لغات العالم ، وهو ماخففنا في الوصول إليه على الرغم من الجهود المبذولة .

النحو حل لمشكلة أم هو مشكلة ليس لها حل ؟

المادة اللغوية التي ندرسها منذ عقود لطلابنا هي مادة مدروسة، فقد درست وتحتاج منا الى من يبيث بها الحياة ، فهي مثقلة بأخطاء طباعية على الرغم من تعدد الطباعات ، وأخطاء علمية لا تكاد تخلو منها مرحلة ، حتى ان بعض مؤلفيها نادى بإعادة النظر في تلك الكتب ولم تجد دعوته آذانا صاغية ،(١٠) ؛ فهذه الكتب تعنى بالوضع ، أي بالقواعد والقوانين وتعزلها عن الاستعمال ، إذ لا تمنح الطالب فرصة كافية لتطبيق ما تعلمه ولا تعرضه لمواقف يستعمل فيها اللغة السليمة ، نطقا وكتابة ، فيبقى ما تعلمه من قواعد قوالب جامدة في ذهنه ، سرعان ما يتسرب إليها النسيان . فلاتولي مدارسنا المشافهة في تعلم اللغة اهتماما يذكر . (١١)

واذا بحثنا في الهدف من دراسة النحو ، نجد ان الحاجة الى النحو مست من اجل تقويم اللسان عند نطق الصوت مفردا ومركبا في كلمة ، ولتوخي الصحة في ضبط الكلمة مفردة ومركبة في كلام، ثم لمعرفة منهج العربية في تأليف الجمل وصوغ العبارات ، وفهم وظيفة الكلمة من الجملة ، ومعرفة الفروق بين التراكيب .

والقواعد الوظيفية هي التي تعيننا على الوصول الى الغايات المذكورة ، وما لا يحقق هذه الغايات فهي من القواعد غير الوظيفية من هذا الجانب يصح النظر الى النحو بوصفه حلا لمشكلة ، اما متى يغدو النحو مشكله ليس لها حل ، يغدو كذلك عندما يستحيل الى إعراب

محض لارابط بينه وبين المعنى ، وقد انتبه الى هذا الامر عدد من المهتمين بتعليم اللغة العربية ، ومنهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن التي قالت: " كان الخطأ الاول ، ان الأصل في الإعراب ان يضبط المعنى ويدل عليه ، لكن اللغويين فصلوا النحو عن المعاني ، ووضعوا بينهما الحدود والأسوار ٠٠٠ وهذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعنى هو الذي جار على التعليم في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقتها " (١٢) ، والى ذلك ذهب الدكتور داود عبده حين قال : " ان القواعد المتعلقة بالحركة الإعرابية ليست سوى جزء يسير من قواعد اللغة " (١٣) .

وقد نعى الدكتور احمد عبد الستار الجواري (رحمه الله) على النحاة عزلهم معاني النحو عن النحو ، وعد هذا مساءة بالغة به ، وجنوحا به عن السبيل السوي ، وتجريدا للنحو من روحه حتى يصير جسما بلا روح واهابا بلا محتوى " (١٤) وعد الجواري " انتزاع معاني النحو من النحو قضاء على النحو بالجمود والتحجر ، واقتطاعا لشطر مهما منه هو الذي يبعث في قواعده رواء وحيوية وقدرة على مازجة الأفكار والأذواق والمشاعر " (١٥) .

ولست هنا بصدد ان اؤرخ للنحو بقدر ما ارمي الى ربط القصور في النظرة إليه بابتعاده عن غاياته التي وضع من اجلها ، وقد تنبه الى هذا القصور عبد القاهر الجرجاني بقوله : " واما النحو فظننته الطائفة القاصرة ضربا من التكلف ، وبابا من التعسف ، وشيئا لا يستند الى اصل ، ولا يعتمد على عقل ، وان ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المباديء هو فضل لا يجدي نفعا ، ولا تحصل منه على فائدة ، وضربوا له المثل بالملح " (١٦) . نحن اليوم في العام ٢٠٠٥ م وهذا يعني مرور ثمان وستين سنة على قرارات مجمع اللغة العربية المصري الداعية الى إصلاح النحو العربي ، وهي قرارات لاتمس روح النحو العربي بقدر ما ترمي الى رجوع الى منابعه الصافية ، بان تخلصه من الشوائب العالقة به ، ولم يعمل بهذه القرارات لافي مصر ولا في غيرها . فمنذ العام ١٩٣٨ م والمصلحون يستغيثون : متى تلغى فكرة استتار الضمير ؟ متى يستغنى عن الاعرابين التقديرى والمحلي ؟ متى توحد ألقاب الإعراب والبناء ؟ وبعد ان استيأس الرسل جاء العام ١٩٧٦ م لتعقد فيه ندوة المجمع اللغوية على ارض الجزائر ، وشاركت فيها ثلاثة مجامع هي : مجمع بغداد ، ومجمع دمشق ، ومجمع القاهرة ، وخرجت : بجملته قرارات قامت على اقتراحات جديدة حملها الى الندوة مجمع بغداد او مجمع دمشق وهي :

- الربط بين علم النحو ومفهوم الدلالة .

• دراسة بعض التراكيب النحوية دراسة تحدد معانيها , وتضبط أواخرها دون التعرض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم والتعجب والتحذير والإغراء والنفي والتوكيد والتفضيل ... وغير ذلك .

• الإبقاء على الإعراب التقديرى والمحلي دون تعليل .

• الاكتفاء بألقاب البناء في حالتي الإعراب والبناء .

• يدرس أسلوب الاستثناء في باب الأساليب , ويقتصر في أحكامه على النصب إذا كان استثناء تاما .

• ما ينصب ب(ان) مضمرة وجوبا يقال فيه انه منصوب بعد الأدوات الظاهرة .

تلك هي أهم قرارات الندوة المذكورة , وهي قرارات لم تصدر عن مجمع واحد بل عن مجامع ثلاثة , لذا كان من المنتظر ان تأخذ بها الأقطار العربية جميعا وتصوغ مناهج النحو المدرسي في ضوءها .

والمؤسف ان شيئا من القرارات الملمح إليها لم ينفذ , فالربط بين النحو والدلالة لا اثر له في مناهجنا الدراسية وإنما تقتصر هذه المناهج على تعليم الأدوات او الصيغ مجردة من معانيها فالطالب لا يميز بين النفي ب (لم) والنفي ب(لن) والنفي ب(لا) , ولا يعرف الفرق بين (محمد نشط) و(محمد نشيط) و(المكان ضيق) و(المكان ضائق بأهله) . فالمناهج الدراسية تقتصر على تلقين الطالب الأثر الإعرابي الذي تحدثه الأدوات او الصيغ او الكلمات . فلم تكلف كتبنا المدرسية نفسها وهي تقدم موضوع (لا) النافية للجنس العاملة عمل (ان) , ثم تقدم موضوع (لا) النافية العاملة عمل (ليس) .

لم يذكر كتاب من كتب قواعد اللغة العربية ان تشابه (لا) النافية للجنس و (ان) من حيث العمل - أي الأثر الإعرابي - مرده الى ان (ان) تفيد التوكيد في حالة الإثبات والإيجاب و(لا) تفيد التوكيد ايضا , ولكن في حالة النفي والسلب , ويتضح توكيدها النفي من الموازنة بين قولنا : (لا يحب الكاذب) وقولنا : (لا كاذب محبوب) فالنفي في الجملة الأولى يفتقر الى القوة والتوكيد , والنفي في الجملة الثانية قوي ومؤكد , وإذا أعربت الكتب المدرسية اسم(لا) في الجمل المشار إليها على انه مبني فإنها تعرب نمطا اخر من اسم (لا) على انه معرب منصوب , وفي ذلك بلبلة لعقل الطالب , وتقديم قاعدتين متناقضتين في موضوع واحد , ويكفي ان نقول ان الاسم بعد (لا) النافية للجنس يكون مفتوحا دائما في جميع حالاته ولكنه في حال إضافته الى ما بعده يكون مفتوحا بغير تنوين , وهذا الرأي الذي أحياه الدكتور نعمة العزاوي لإعراب اسم (لا) ليس من اجتهاد المعاصرين , او هو مما توصل إليه أصحاب التجديد والتيسير , وإنما هو رأي ذهب إليه بعض

نحاتنا القدماء ومنهم السيرافي ، والزجاج ، والمبرد ، وأبو بكر الزبيدي ، ولكن هذا الرأي ضاع في غمرة ما يسمى (مذهب الجمهور) ، او في ضجيج ما يعرف ب(النحو الرسمي) الذي فرض نفسه على مدارسنا .

ومسألة اختصاص الأدوات العاملة التي قال بها البصريون جرت علينا تاويلات بعيدة ، وتحميل الأسلوب ما ليس فيه نحو إعراب الاسم المرفوع بعد (ان واذا) الشرطيتين ، إذ يعرب البصريون على انه فاعل لفعل محذوف وجوبا يفسره الفعل المذكور ، بينما يعربه الكوفيون على انه فاعل مقدم ولا يعلقونه بفعل محذوف ، ويعربه الاخفش على انه مبتدأ (١٧) .

وجرت اغلب الخلافات على هذا المنوال الذي لم يوفق فيه أصحابه لخدمة المعنى ، ولم يكن هذا الامر مألوفاً عند الخليل وغيره من الرعيل الاول من النحاة إذ أنهم كانوا يخضعون للإعراب لخدمة المعنى ، وكان القرآن الكريم رائدهم في ذلك ، ثم كلام الفصحاء من شعراء العرب وخطبائهم .

يجدر بنا من اجل خدمة تعليم اللغة العربية ان نسلك سبيلين لا غنى عنهما الاول هو إحياء الآراء النحوية الأصيلة التي تحاكي منطق المتعلم في القرن الواحد والعشرين هذه الآراء التي لم تتل نصيبها من الاهتمام ونضعها في المقدمة ، والأخر ان نعيد عرض مواضيع علم النحو على منطق القرآن وأسلوبه في الصياغة ، ونعيد هذا العلم لأحضان علم المعاني ليكون النحو دليلاً على المعنى لا عبئاً عليه ، فلا نبحت في تاويلات لأبيات عفى عليها الزمن وقد تكون في هذه الأبيات ضرورات شعرية او جنوح عن الدقة في نقل الرواة فنؤسس عليها قواعد كما فعل بعض النحاة الذي أسس قواعده على أبيات شاذة وراح يبحث عما يؤيدها وتبعناه نحن في تدريسها لشدة العربية وطلابها منها (ان) النافية التي لم ترو إلا في قراءة قرآنية فذة لم تشفع (١٨) ، والاستثناء الذي تفرع حتى زاد على العشرة فروع وهذه الفروع تفرعت وليس فيها فرع واحد يخدم المعنى ولا سيما منها الاستثناء المنقطع والمفرغ ، واستخدام (غير وسوى) للاستثناء ولم تردا في القرآن الكريم لهذا الغرض ، وتكرار (إلا) الاستثنائية لغرض التوكيد وليس لغرض التوكيد (١٩) ، وسأضرب مثلاً على بعض ما ذكرت .

وردت (ان) النافية العاملة عمل ليس في قراءة سعيد بن جبير (رض): " ان الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم بنصب العباد ، وهي قاعدة أسسها الكسائي الكوفي وتابعه المبرد البصري ، وخالفهما سيبويه والفراء الكوفي (٢٠) ، ومثال الاستثناء المنقطع الذي أورده في غير موضع ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك هو مثال مضحك مبك وهو (ضربت القوم إلا حماراً ، ومررت بالقوم إلا حماراً) وقبله ذكر مثلاً على الاستثناء المتصل (قام القوم إلا زيداً)

وقال : " ف(زيدا) في هذه المثل منصوبا على الاستثناء , وكذلك (حمارا) " ولك ان تتخيل بعد هذا المثل من المعنى !

اما الاستثناء المفرغ نحو (ما قام إلا زيد) فهو استثناء وليس فيه معنى الاستثناء , فهو من أساليب القصر ونحن ندرسه في الاستثناء .

ومثل هذا في النحو العربي كثير وكل طائفة من هذه المواضيع تستأهل بحثا قائما بنفسه . ونفصل هنا القول في بعض المواضيع النحوية التي تحتاج الى مراجعة في كتبنا النحوية :

١- (ان) النافية العاملة عمل (ليس) :

على الرغم مما ذكرناه من ندرة أعمال هذه الأداة عند العرب , إذ لم يتحفا السماع بأعمالها هذا العمل مما حدا بجمهور البصريين الى إنكاره , وإنها لم ترد معاملة في القرآن الكريم في القراءة المشهورة , فقد وردت أمثلة قليلة على أعمالها في الشعر , وقيل انها لغة أهل العالية , وهي منطقة ما فوق نجد الى ارض تهامة والى ما وراء مكة وما والاها , ولكن النحويين المحدثين مصرّون على إثباتها ضمن أدوات النفي العاملة عمل ليس , ولم يرد نفيها إلا منتقضا فهي تفيد القصر بالنفي , نحو قوله تعالى : "ان الحكم إلا لله " (٢٢) وقوله تعالى : " ان هذا إلا ملك كريم " (٢٣) . اما قول برجستراسر في انها تطابق (ما) في وظيفتها وأكثر وقوعها قبل (إلا) للجناس بينهما , (٢٤) فهو قول ليس في محله ؛ لان (ما) وردت عاملة عمل ليس في القرآن الكريم في غير موضع وكذا تواتر السماع من كلام العرب على أعمالها هذا العمل , ويكاد يكون اصلا فيها اقتران الباء بخبرها , فلم يرد في القرآن الكريم تجرد خبر (ما) من حرف الجر إلا في موضعين هما في قوله تعالى في سورة يوسف : (ما هذا بشرا) (٢٥) , وقوله تعالى في سورة المجادلة : (ما هن أمهاتهم) (٢٦) , وكثيرا ما يتصل باسم (ما) حرف الجر (من) الذي يفيد استغراق النفي , ومعنى الاستغراق فرع من معنى التبويض يجوز إليه بوقوع الحرف في سياق النفي , كان المنفي الشيء بابعاضه واجزائه كلها . (٢٧) .

وهذه الامور التي ذكرناها كلها غير موجودة في سياق النفي ب(ان) فأين وجه المطابقة بين (ان) و(ما) الذي زعمه برجستراسر .

وبناء على ما تقدم نقترح ان تنقل هذه الأداة من باب الأدوات العاملة عمل (ليس) الى موضوع اخر مستقل هو (أسلوب القصر) وان ينطوي تحت هذا العنوان ما اسماه النحاة ب(الاستثناء المفرغ) عموما سواء أكان سياقه منفيا ب(ان) او بغيرها .

٢- العطف وعلاقته بالفصل والوصل :

يمر علينا موضوع العطف ، وأدواته في مراحل الدراسة المختلفة ، ولم نجد له أثرا يذكر على أسلوب طلبتنا في الكتابة ، ولم يشجعهم هذا الموضوع على التأمل في كتاب الله من أجل الارتواء من ينبوع العربية الصافي وما حدث - على حد علمي - ان اتفق أستاذان احدهما يدرس البلاغة العربية والآخر يدرس النحو العربي على تقديم هذا الموضوع بحلة تجذب الطالب إليه وتشجعه على الغفر من كنوز التراث العربي .

(الفصل والوصل) هذا الموضوع من المواضيع الحساسة والمهمة في العربية ، ولا عجب ، فلهذا الموضوع علاقة وثيقة بالأسلوب العربي البليغ حتى قال فيه عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز : " واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة ، أنت تقول انه فيه خفي غامض ودقيق ، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب " (٢٨) . ولقد عده الذين سبقوا عبد القاهر : انه هو البلاغة برمتها " سئل بعضهم ما البلاغة فقال : معرفة الفصل من الوصل " (٢٩) .

وحسبنا ان نتعرف الى معاني العطف التي أوردها علماء العربية لتستبين لنا رحابة هذا الميدان ولزوم التصدي لخوض غماره وسبر أغواره . فالناظر في معاني الحرفين الرئيس في حروف العطف تتجلى له سعة هذا المجال ورحابته ؛ ف(الواو) التي تستخدم في العربية لمطلق الجمع ، وهي كما يقال (أم الباب) ينساب عن معناها هذا ويتفرع احد عشر معنى ، بل بلغ بها بعضهم خمسة وعشرين معنى . والفاء للترتيب مع التعقيب ، وعن هذا المعنى يتفرع من المعاني كمعنى السببية ، وربط جملة جواب الشرط بفعل الشرط ، وغير ذلك مما لامجال للخوض فيه . والوصل بالواو موضوع يحتاج منا الى وقفة أطول بكثير مما نحن عليه اليوم في تدريسه ؛ فالجملة الواقعة تابعة لجملة قبلها لا يكون الوصل بينهما بالواو ؛ لان الوصل بالواو يعني في جملة ما يعنيه ان الجملتين المتعاطفتين ندان متساويان في حكم ، وان كانتا مشتركيتين فيه . (٣٠) ومكان الواو بين الجمل موقع دقيق ، وهو الذي قضى ان يقال في الوصل والوصل ما قيل في غموضه ودقته وخفائه ، وعسر إدراكه .

وقد يأتي الوصل بغير العطف وهو من روائع الأساليب القرآنية التي ضرب عنها مدرسو النحو العربي صفحا ، فأين هذه المواضيع من مناهجنا ؟ ان من حق لغتنا علينا ان نعنى بها ونكرمها بعد ان أكرمها الله بان انزل كتابه بها بلسان عربي مبين .

حروف الجر :

لحروف الجر في العربية جانبان مهمان يعاني منهما المتقنون قبل غيرهم احدهما : معاني هذه الحروف , إذ ان لكل حرف منها معاني عديدة تحتاج منا الى تدريب ومراجعة متواصلين من اجل الاحاطة بها وتشجيع الطلبة على تحري شبيهاتها .

والآخر : استعمال هذه الحروف مع الأفعال , إذ اخفق في هذا الجانب خلق كثير وانحرف عن جادة الفصاحة وما قادهم الى هذه الاغلاط إلا التواطؤ على الخطأ والركون الى الدعة دون تحري الصواب وهو موجود في القرآن الكريم والمأثور من كلام العرب الفصحاء وكتابتهم المبدعين ؛ فحروف الجر - والحال هذه - تحتاج منا الى وقفة أطول وان ندرس الطلبة الاخطاء اللغوية الشائعة المتكئة على الاستعمال الخاطيء لهذه الحروف ونقدم لهم مقابلها الاستعمالات الفصيحة ونشجعهم عليها , لننفخ في جذوة هذا الموضوع الذي لم ينل عند مدرسنا وطالبنا على احد سواء الخطوة التي يستحقها فما زلنا نقول (نتج عن , وصدر عن , نم عن , تكلم عن , تحدث على , قسم الى , استند على , جاءوا عن بكرة أبيهم , امتاز على , عوضني عن , وفقه الله الى الخير , خرج على القانون , استمر بالعمل , نظر للشيء , اعتذر عن الذنب , فكر بالموضوع , هزيء منه , تضلع في العلم , اختلط مع الناس , زاد عددهم عن كذا , أجاب على السؤال , ينبغي عليك كذا , أسف لكذا , لايؤبه به , نقد فلان فلانا , وزع عليهم الجوائز , وفق الشروط , تساهل معه) وكلها استعمالات خاطئة لحروف الجر , او إهمال لذكر لحرف جر يجب ذكره , وينبغي ان يدرس لطالب اللغة العربية وطالب علوم القرآن والشريعة أسلوب القرآن الكريم في استخدام حروف الجر , ومنه ننطلق الى معاني هذه الحروف لنكشف امام الطالب آفاقا واسعة في عظمة كتاب الله , ليقنتدي الطالب بدقة القرآن الكريم وينمي من خلال هذا الامر أسلوبه في الكتابة والحديث , ثم لنجني بإذن الله الفائدة المرجوة من تدريس علم النحو من خلال اقتران النظرية بالتطبيق , وأبعاد ما هو طارئ على النظرية منها , ليصبح النحو من جديد دليلا على المعنى لا عبئا عليه . وما توفيقى إلا بالله .

الخاتمة

لعل من أهم النتائج التي وصل إليها الباحث في بحثه هي :
ان النحويين العرب القدامى لم يكونوا يفصلون بين الوراثة واللغة , فقد وقر في عقولهم ان اللغة شيء يورث , وان غير العربي لايمكنه ان يتقن اللغة العربية إتقان أهلها لها .

وان انضج ما وعاه الفكر العربي في تعليم اللغة عموما هي دعوة المفكر العربي ابن خلدون الى النظر الى اللغة على انها وضع واستعمال ، ورده دعوة من ظن ان العرب نطقوا لغتهم بالطبع .

ودعا الباحث الى إعادة النظر بالمادة اللغوية التي ندرسها اليوم لطلابنا ، وإلى إعادة صياغة الهدف من دراسة النحو . ودعا من خلال ذلك الى وضع قواعد وظيفية تعيننا على الوصول الى الغايات المرجوة من تعليم النحو العربي .

ودعا الباحث الى الأخذ بقرارات مجامع اللغة العربية في مؤتمراتها الدورية .

وقد طرح الباحث نظرة جديدة بتدريس مواضيع نحوية معروفة لصعوبتها ، وقد رجع في هذه النظرة الى آراء النحاة القدامى من اجل إحياء تلك الآراء ، وأضاف الباحث عليها ما وجده نافعا لتيسير تعليم تلك المواضيع ؛ فقد كشف الباحث عن ثغرة كبيرة في تدريس (لا) النافية ، و (ان) النافية العاملة عمل ليس عند بعض النحاة .

وطرح الباحث تدريس العطف من خلال تدريس موضوع اخر هو (الفصل والوصل) . وأخيرا وليس آخرا دعا الباحث الى تدريس حروف الجر من ناحيتين : الأولى : معاني تلك الحروف ، والأخرى : استعمال تلك الحروف مع الأفعال . نظرا لخطورة هذا الموضوع ذكر الباحث أمثلة على الاخطاء اللغوية الشائعة نتيجة الاستعمال الخاطيء لحروف الجر .

هوامش البحث

- (١) في حركة تجديد النحو ونسيرة في العصر الحديث، د. نعمة رحيم العزاوي : ٣٢ .
- (٢) الفهرست لابن النديم : ٦٦٠
- (٣) الموشح ، المرزباني : ١٩٢ .
- (٤) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة : ١ / ٥٢٥ .
- (٥) الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، القاضي الجرجاني : ١٥ ، ١٦ .
- (٦) مقدمة ابن خلدون ، العلامة ابن خلدون : ٥٦٢ ، وينظر : من قضايا تعليم اللغة رؤية جديدة ، د. نعمة رحيم العزاوي : ١٢ .
- (٧) مقدمة ابن خلدون : ٥٦٢ .
- (٨) المصدر نفسه : ٥٥٤ .
- (٩) المصدر نفسه : ٥٥٩ .
- (١٠) ينظر - على سبيل المثال - : في الكتاب اللغوي المدرسي ، د. نعمة رحيم العزاوي ، مجلة الضاد ج ٤ ، ١٩٩٠ : ٧١ - ٩١ .

- (١١) ينظر : من قضايا تعليم اللغة : ١٩-٢٠ ، وينظر : الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهود اللغوية ، رسالة ماجستير ، غانم كامل سعود الحسناوي : ٦٠ .
- (١٢) لغتنا والحياة ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) : ١٩٦ - ١٩٧ .
- (١٣) نحو تعليم اللغة وظيفيا ، د. داود عبده : ٥٢ .
- (١٤) ينظر : نحو الفرات ، د. احمد عبد الستار الجواري : ١٦ .
- (١٥) نحو المعاني ، د. احمد عبد الستار الجواري : ٦٠ .
- (١٦) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١ / ٤ .
- (١٧) ينظر : مفني اللبيب : ١ / ٦٥ ، ٨ / ٢ ، وينظر : شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ٢ / ٨٦ ، ١٣٣ - ١٣٤ .
- (١٨) ينظر : شرح ابن عقيل : ١ / ٣١٧ - ٣١٩ ، وقد ذكر ان ابن جني نسب هذه القراءة الى سعيد بن جبير (رضي الله عنه) .
- (١٩) ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢١٠ - ٢٤٢ .
- (٢٠) ينظر : المصدر نفسه ١ / ٣١٧ ، وقد ذكر ان مذهب اكثر البصريين والقراء انها لا تعمل شيئا .
- (٢١) المصدر نفسه : ٢ / ٢١٠ ، وينظر : ٢ / ٢١٥ .
- (٢٢) يوسف : ٤٠ .
- (٢٣) يوسف : ٣١ .
- (٢٤) ينظر : التطور النحوي ، برجستراسر : ١١٥ .
- (٢٥) الآية : ٣١ .
- (٢٦) الآية : ٢ .
- (٢٧) ينظر : نحو القرآن : ٨٩ - ٩٠ .
- (٢٨) دلائل الإعجاز : ٢ / ٩ .
- (٢٩) المصدر نفسه : ٣ .
- (٣٠) ينظر : نحو المعاني : ٩٦ .

المصادر والمراجع

- ١- الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهود اللغوية ، (رسالة ماجستير) ، غانم كامل سعود الحسناوي ، جامعة بابل ، كلية التربية ٢٠٠٣ م .

- ٢- التطور النحوي للغة العربية ، محاضرات القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩
المستشرق الالماني برجستراسر ، اخرجوه وصححه وعلق عليه د : رمضان عبد
التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .
- ٣- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، صحح اصله الشيخ محمد عبده والشيخ
محمد محمود وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشه السيد محمد رشيد رضا ،
الناشر : مكتبة القاهرة بالازهر ١٩٦١ م .
- ٤- شرح ابن عقيل ، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري ، ترجمة
محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب للطباعة والنشر في الموصل . جامعة
الموصل ١٩٩٩ م .
- ٥- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف
(ج ٠ م ٠ ع) ١٩٨٢ م .
- ٦- الفهرست ، ابن النديم ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٧- في حركة تجديد النحو وتيسره في العصر الحديث ، د . نعمة رحيم العزاوي ،
الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٥ م .
- ٨- لغتنا و الحياة ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) دار المعارف بمصر ١٩٧١
م .
- ٩- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هاشم الانصاري ، قدم له ووضع حواشه
وفهارسه حسن حمد ، اشرف عليه وراجعاه د . اميل بديع يعقوب : دار الكتب
العلمية بيروت - لبنان ١٩٩٨ م .
- ١٠- مقدمة ابن خلدون ، العلامة ابن خلدون ، طبعة ، بيروت (من غير ذكر
لتاريخ النشر) .
- ١١- من قضايا تعليم اللغة رؤية جديدة ، د . نعمة رحيم العزاوي ، بغداد
١٩٨٨ م .
- ١٢- الموشح ، المرزباني ، ترجمة علي محمد البيجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- ١٣- نحو تعليم اللغة وظيفيا ، د . داود عبده ، ط ١ ، مؤسسة دار العلوم ،
الكويت ١٩٧٩ م .
- ١٤- نحو القران ، د . احمد عبد الستار الجوارى ، ط ١ ، مطبوعات المجمع
العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٤ م .

١٥- نحو المعاني ، د. احمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي

العراقي ، بغداد ١٩٨٧ م .

١٦- الوساطة بين المتبني و خصومه ، القاضي الجرجاني ، ترجمة محمد ابي

الفضل ابراهيم ، ط٣ (من دون ذكر لتاريخ النشر) .